الاستيطانية التي تمت في فلسطين في بداية القرن العشرين في تمهيد الأرضية العامة في المنطقة لقيام نشاط عمالي هناك مع اختلاف التوجهات التي اعتمدتها الحركة العمالية اليهودية التي تبلورت باتجاهها العام لتكون أداة طيعة في يد الصهيونية طوال الفترة الممتدة حتى تقسيم فلسطين وبعد ذلك أيضا، في حين أخذت الحركة النقابية العربية في فلسطين، بعد ظهورها، اتجاها ايجابيا وحقيقيا، حين ربطت، حسب المراحل المختلفة التي مرت بها بشكل خاص، وحسب تطور قضية الشعب الفلسطيني بشكل عام، بين النضال النقابي المطلبي والنضال الوطني القومي. ويعود سبب وقوع الحركة العمالية اليهودية فريسة لتوجهات الصهيونية والامبريالية الى عامل هام نجحت الصهيونية في تسخيره والاستفادة منه، وهو الربط المحكم بين الحركة العمالية من جهة، والقومية الشوفينية من جهة أخرى(*)[٣١]. وكان لابد لنجاح ذلك من تمييع الصراع الطبقي وعدم الاعتراف به، انطلاقا من تضخيم المهمات القومية التاريخية الملقاة على عاتق اليهود بفئاتهم وطبقاتهم المختلفة والمتعلقة بإقامة الوطن القومي والعودة الى أرض الميعاد. ويفسر لنا ذلك الموقف الانعزالي الذي تمسكت به الحركة العمالية اليهودية منذ بداية نشأتها والمتمثل في رفض تشكيل النقابات اليهودية على أساس طبقي، وبالتالي رفض قبول العمال العرب في المنظمات النقابية اليهودية عند بداية توجه العمال العرب نحو العمل النقابي.

من ناحية ثانية، فان الحركة الصهيونية، بحكم كونها تعتمد بالأساس على الهجرة الى فلسطين والاستيطان فيها، كانت تعتمد أيضا على استيعاب العناصر الشابة القادرة على العمل. ولهذا فان المهاجرين بغالبيتهم كانوا يزيدون في تراكم اليد العاملة اليهودية في فلسطين. ولما كان غالبية هؤلاء من المتأثرين بالأفكار الصهيونية أو المخدوعين بها فان بقاءهم في فلسطين كان يعني، بشكل تلقائي، استعدادهم لتنفيذ هذه الأفكار والالتفاف حولها. ولقد فرز تراكم اليد العاملة اليهودية في فلسطين طوال الفترات اللاحقة تجمعات عمالية طغى على نشاطها الطابع السياسي القومي. وكانت هذه التجمعات العمالية نويات الأحزاب السياسية التي تشكلت في فلسطين بعد ذلك، واستمرت في العمل حتى الآن من خلال السياسة الشوفينية، رغم كونها انطلقت بالأساس من تجمعات عمالية مستوردة.

يقودنا كل ذلك الى التأكيد على أن ظهور المنظمات العمالية اليهودية سبق بفترة طويلة التجمعات العمالية العربية. ولقد توافق ظهور المنظمات العمالية اليهودية في فلسطين في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين مع تصاعد حركة الهجرة والاستيطان الصهيوني. وكانت من أوائل الجمعيات العمالية اليهودية التي تشكلت في فلسطين الجمعية العمالية التي قادت تحرك مستوطنة ريشون تسيون سنة ١٨٨٧ ضد إرادة البارون روتشيلد. ويلاحظ هنا بأن تحركها كان مطلبيا وطبقيا، عمال يهود ضد اقطاعيين يهود، وهذا يعزز الإستنتاج السابق من أن جذور الايديولوجية الصهيونية لم

---

* يلول بن – غوريون، أحد أوائل الزعماء الصهاينة في المنظمات العمالية اليهودية في فلسطين في بداية القرن العشرين، حول مفهوم النقابة بالنسبة للحركة الصهيونية: «لسنا مجرد نقابة عمال فإضافة إلى الوظائف العامة والعادية لنقابة العمال، ملقاة على عاتقنا مهمة وحيدة من نوعها، لأننا نقابة محتلين، محتلي البلاد وبناتها، إننا ننظم هجرة وعملاً اقتصادياً وكولونيالياً. ونحن مسؤولون عن مصير البلاد ومستقبلها».